الحلقة (١)

﴿مقدمة﴾

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له و أشهد أن لا إله إلا الله و حده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده و رسوله صلى الله عليه و على آله و أصحابه و سلم تسليماً كثيراً: أما بعد فإن أشرف العلوم علم العقيدة فهو أساس الدين وبه يعرف العبد ربه وما يجب عليه تجاه الباري عز وجل و بصحة العقيدة يصح الدين وتصح الأعمال، و إذا كانت هذه منزلة العقيدة فلابد ان تعلم أن العقيدة الصحيحة هي ما كان عليه النبي وأصحابه رضوان الله عليهم اجمعين فليس كل عقيدة منجيه إنما المنجي هي الالتزام بالعقيدة الصحيحة التي تركنا عليها النبي حيث يقول: (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) إلا أن النبي أخبرنا عن السنن وأن هذه الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وعندما وقع هذا التفرق طرأ على العقيدة الصحيحة الصافية التي كان عليها أصحاب النبي اختلاف وتحريف وتعطيل وتأويل وأمور منكرة فما كان من العلماء من أهل السنة والجماعة إلا أن انبروا لهذه العقائد الحادثة البدعية بإنكارها والرد على شبهاتها وتحذير الناس منها، مرة بتأليف المتون في العقيدة الصحيحة ومرة بالردود على أشخاص بأعيانهم أوعلى فرق معينه وهكذا توالت جهودهم في دحض كل ما يظهر ويطرأ مخالفا للاعتقاد الصافي الصحيح وهوما كان عليه النبي وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم.

المرجع الرئيس في هذا المستوى هو: شرح العقيدة الطحاوية لأبن أبي العز الحنفي، وبقية كتب الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة هي المراجع المساندة لهذا المقرر.

العقيدة الطحاوية: لقد شرح متن العقيدة الطحاوية من أكثر من شارح وشرح ابن أبي العز لمتن العقيدة الطحاوية هو أحد هذه الشروح، وعقيدة الطحاوي عقيدة موافقة في جل مباحثها لما يعتقده أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر.

ولقد ذكر عدد من أهل العلم أن أتباع المذاهب الأربعة ارتضوا هذه العقيدة (العقيدة الطحاوية) ذلك لأنها اشتملت على أصول الاعتقاد المتفق عليه بين أهل العلم وذلك في الإجمال، لأن ثم مواضع انتقدت على الطحاوي رحمه الله.

التعريف بالماتن صاحب العقيدة الطحاوية

نسبه: هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الحجري المصري الطحاوي المصري، نسبة إلى طحى وهي من قرى صعيد مصر.

مولده و وفاته: ولد في سنة ٢٣٩ هـ وتوفي رحمه الله في ٣٢١ هـ.

نشأته: نشأ في بيت علم وفضل فأبوه من أهل العلم والبصر في الشعر وروايته، وأمه معدوده في

أصحاب الشافعي رحمه الله الذين كانوا يحضرون مجلسه، وخاله المزني أفقه أصحاب الشافعي وناشر علمه من بعده.

عاصر الطحاوي الأئمة الحفاظ من أصحاب الكتب الستة، ومن كان في طبقتهم وشارك بعضهم في مروياتهم، وقد عُد الطحاوي من أقدر الناس وأمهرهم على التأليف والتصنيف، وذلك لما وهبه الله من وفرة المحفوظ من القرآن والسنة وأقوال أهل العلم، وكذلك تنوع المعارف وسرعة الاستحضار وكمال لاستعداد.

مصنفاته: وقد صنف الطحاوي كتب متنوعة في العقيدة والتفسير والحديث والفقه والشروط والتاريخ هي في غاية الجودة والأصالة وكثرة الفوائد، منها شرح مشكل الآثار، ومختصر الطحاوي في الفقه الحنفي على شاكلة مختصر المزني (أي خاله) في مذهب الشافعي وكذلك سنن الشافعي، والعقيدة الطحاوية وهي مرجعنا في هذا المقرر.

والعقيدة الطحاوية التي ألفها هي متن صغير جداً، يحفظه صغار طلبة العلم لأنه عدد قليل من الكلمات مجموعة في مكان تدل على الاعتقاد، ولعلها كانت من قبيل الإملاء، فما يرد على قلبه رحمه الله أملاه، لذلك لم تكن هذه المسائل العقدية في هذا المتن مرتبة بل متفرقة والشارح ابن أبي العز تبع المؤلف في طريقته لكن الشارح قال في آخر الكتاب (ولكن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام في الصفات في المختصر في مكان واحد، وكذلك في الكلام في القدر ونحو ذلك، ولم يعتنِ فيه بترتيب وأحسن ما يُرتب عليه كتاب أصول الدين ترتيب جواب النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام، حين سأله عن الإيمان فقال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) الحديث فيُبدأ بالكلام عن التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك ثم بالكلام على الملائكة ثم... إلى آخر أصول الإيمان.

أبو جعفر الطحاوي رحمه الله كان صريحا في الحق الذي يعتقده لا يجامل أحدا مهما علا شأنه وعظمت منزلته يظهر ذلك تحوله من المذهب الشافعي إلى المذهب الحنفي في بلدٍ (أي مصر) لم يكن للمذهب الذي انتقل إليه فيه رواج.

وهو رحمه الله من علماء الحديث المعروفين، ومن الفقهاء المشهورين فهو محدث فقيه وكان شافعي المذهب تفقه على خاله المزني تلميذ الشافعي، ثم انتقل في الفروع من مذهب الشافعية إلى مذهب الحنفية فصار حنفي المذهب إلا أنه

لا يتعصب لأبي حنيفة ولا يقلده، بل صنيع العلماء المحققين أن يتابعه فيما ظهر فيه الدليل و أن يأخذ بالدليل إذا خالف قول الإمام كما ورد عن الأئمة أن قولهم إذا خالف قول النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يضرب بقولهم عرض الحائط، وكما ورد عن مالك رحمه الله أنه قال: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

التعريف بالشارح

نسبه: هو أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن شمس الدين أبي عبدالله محمد بن شرف الدين أبي البركات محمد بن عز الدين أبي العز صالح بن أبي العز بن وهيب بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهب الأذرعي الأصل الدمشقي الصالحي والحنفي المعروف بابن أبي العز.

مولده: ولد ابن أبي العز في سنة٧٣١ هـ في أسرة علمية.

نشأته: تقلب في أعطاف العلم تعلماً ومدارسة مع ما منحه الله من استعداد فطري وذهن وقاد وتعطش شديد للمعرفة، فكان لذلك فيه الأثر الكبير في بلوغ منزلة عظيمة في العلم أتاحت له التدريس والخطابة والتأليف وتولي المناصب العلمية التي لا ينالها إلا من قاربت معرفته الكمال وعظمت منزلته وارتاض بالمعرفة عقله.

مع أن أبي العز حنفي المذهب متأثرا بمحيطه و المذهب الذي يُلقَّنه في الصغر لكنه من الناس الذين عاودوا التفكير فيما لُقنوا وبحث ووازن بينه وبين غيره متجها اتجاها حراً يقوده إلى المعرفة الصحيحة والمنهج السوي فقها واعتقادا.

من أقواله الرائعة رحمه الله:

أنه يقول "**الواجب على من طلب العلم النافع أن يحفظ كتاب الله عز وجل ويتدبره وكذلك من السنة ما تيسر له و يتضلع منها ويرتوي ويأخذ معه من اللغة والنحو ما يصلح به كلامه، ويستعين به على فهم الكتاب والسنة، وكلام السلف الصالح في معانيها، ثم ينظر في كلام عامة العلماء، الصحابة ثم من بعدهم ما تيسر لهم من ذلك من غير تخصيص، فما اجتمعوا عليه لا يتعداه و ما اختلفوا فيه نظر في أدلتهم من غير هوى ولا عصبية ثم بعد ذلك من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً**" انتهى كلامه رحمه الله.

نبذه عن المحنة التي تعرض لها:

تعرض الشارح ابن أبي العز للمحنة كما هي السنة فيمن يصدح بالحق فناله من الأذى ما نال شيخ الإسلام ابن تيمية وكذلك تلميذه ابن القيم وغيرهما فمن كان ينحو منحى التجديد في الدعوة الصحيحة وإعادتها لأصلها بعد ما أصابها التغيير والتحريف، وقد أهاجوا على ابن أبي العز ذوي السلطان بسبب ما علقه على قصيدة علي بن أبي أيبك التقصُباوي الناصري الدمشقي الأديب في مواضع مشكلة منها، فجُرد من جميع وظائفه وحبس أربعة أشهر وعزر رحمه الله وحملوه على التراجع مع أن الحق كان في الأغلب معه.

فبعد هذه المحنة بقي الشارح ابن أبي العز ملازما لبيته إلى سنة ٧٩١ هـ حتى تقدم إلى الأمير سيف الدين يلبغا ابن عبد الله الناصري الأتابيكي أحد كبار الأمراء بطلب وظائفه وأن يرد إليه اعتباره، فرسم بذلك الأمير وعاد الشارح إلى وظائفه فخطب بجامع الأفرم ودرّس بالمدرسة الجوهرية حتى توفي

رحمه الله سنة ٧٩٢ هـ ودفن بسفح جبل قاسيون بدمشق.

ونستفيد مما سبق من عرض للماتن وعرض للشارح أهمية المعلومة التي ستتناول بالمطالعة والدراسة لهذا المتن فهو المرجع الأساسي المهم هنا نكتة وهي أن صاحب متن العقيدة الطحاوية وشارحها ابن أبي العز كلهم من المذهب الحنفي ومع ذلك يخالفون الأحناف في مسائل متعددة في الاعتقاد وإذا دعت الحاجة لإقناع أحد منهم فلا غنى عن الاستشهاد بأقوال هؤلاء العلماء.

ومن المهم أن يقتني الطالب كتاب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، أفضل طبعة: طبعة وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الله التركي والشيخ شعيب الأرناؤوط طبعتها موسسة الرسالة فهي من أفضل و أجمع الطبعات.

☒ مصطلحات مهمة

أولاً: العقيدة على وزن فعيلة بمعنى مفعول، يعني معقوداً عليه.

والمسائل تنقسم إلى أحكام وأخبار كما قال عز وجل { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } تمت كلمة الله على هذين القسمين الصدق في الأخبار والعدل في الأوامر والنواهي.

الأخبار يجب أن تصدق فما كان مرجعه إلى التصديق والإيمان به ولا دخل للأمور العملية به فإنه يسمى معتقدا أو عقيدة لأن مرجعه إلى القلب. فتسمى هذه العقيدة لأنه معقود عليها القلب، يعني كأن هذا العلم أوالخبر أو الأمر دخل إلى القلب فعقد عليه فلا يخرج منه لأنه عقد بشدة ولا ينفلت منه أبدا.

ولفظ العقيدة راجع إلى علم القلب لأنه هو الذي يعقد الشيء الذي فيه، وأما العمليات فهذه من الإيمان كما هو مذهب أهل السنة والجماعة أن العمل داخل في مسمى الإيمان، لكن موردها عمل الجوارح فلذلك لم تدخل في العقيدة.

وسترد ألفاظاً مرادفة مثل: التوحيد، السنة، الشريعة وغير ذلك فمنها مايكون مختص بالعقيدة كالتوحيد، ومنها ما يكون لها ولغيرها كالسنة والشريعة فإن لفظة الشريعة تشتمل على العقيدة أيضا لأن الله عز وجل بين لنا أن الأنبياء اجتمعوا على شريعة واحدة.

يقول الله سبحانه وتعالى {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } فهذه شريعة أجمع عليها المرسلين والمقصود بها التوحيد والعقيدة الواحدة، وتأتي الشريعة ويراد منها العمليات كما قال الله عز و جل: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} وكما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الأنبياء إخوة لعلات، الدين واحد والشرائع شتى) نخلص من ذلك إلى أن التصانيف في العقيدة قد تكون باسم العقيدة أو باسم التوحيد أو باسم السنة أو باسم الشريعة كما هو موجود فعلا في تصانيف أهل السنة والجماعة.